حتى النهاية

بقلم
محمد الخضري عبد الحميد

فى عصر اللوز والتليفزيون والمحاولات الصاروخية الباسلة فى ميدان التطلع الى غزو القمر .. وقف « زكى افندى عبد الحق » بعوده الاعجف الساحق ، وطربوشه البنى الحائل ، فى غرفة من البيت ثانية ، يدير احدى اسطوانات « سيد درويش » القديمة ، على قرص « فونوغراف » !

ودوى فى رحاب البيت ذلك الصوت الرخيم ينبعث من الحاكى .. كانما هو (الماضى) الحق ذاته .. أطل فجأة من فوهة « بئر » الصندوق ، مستبدا مشاعر « الوقت المحلى ! » لحظة ، فى أن « يلقى كلمة » .. ويمشى !!

وما كادت « الأسطوانة » الدوارة تنتهى من مطلع الدور : « أنا هويت .. وانتهيت » .. حتى أحس زكى افندى بخطوات ثقيلة تطرق على البلاط وهى تولى ناهرة مبتعدة .. وخطى اخرى خفيفة الوقع جدا ، تدنو ، وتقترب ، و .. وأطل « حمادة » ذو الخمسة الأعوام من سنى عمره وفى يده البضة الدقيقة « راديو ترانزستور » صغير فى حجم علبة الكبريت .. انبعث منه هنيش مرسيع راقص بدأ بـ « فى عداد لاسلكى ! » يشوش ، بعرور القرم ، على ... « سيد درويش » !!

واوقف زكى افندى عبد الحق دوران اسطوانته ، وراح يتطلع الى حفيده الطفل ، سائلا اياه ، وادناه مرهفتان تتسمعان وقع الخطى التى ولت عن المكان بعيدا :

ـ اين ذهبت أمك يا حمادة ؟

ـ راحت المطبخ .. يا جدو .. !

آه ! .. المطبخ ! .. انه ـ اذن ـ الاعداد للغداء ! .. يا لوقت العجب !

وشد من صديرته سلسلة ساعة جيبه ، واطل فيها ، ثم شهق مرتاعا .. الساعه فقط .. العاشرة !

وارتد ركي افندى على عقبيه فى سهوم داهل وشرود ، يحدق ثانية ومن جديد ، صندوق الحاكى .. و .. لكأنه تذكر الآن فحسب أن سترته قد نالها الكثير من ذرات الأتربه الكثيفة الراكدة ، التى كان قد نفضها من « دولوفراته » العريق بالغ القدم ! .

كان غريبا أن يصدح هذا الصندوق العتيق الصامت بعد سكوت دام عشرات أعوام ! .. وانه — حتى بعد أن اداره ثم أسكته — ليس يدرى كيف سياقته جواهر خفية الى أن يريح عنه النقاب ، ويستنطقه بعد كل ذلك الزمن بعض ما فى جعبته من ترانيم ولحون .. !

لا ، ولا يدرى كذلك ما الذى جعله يفكر فى يومه ذاك بالتجديد ، ويتامل واستغراق عميقين .. فى (المرحوم) ابيه .. وكيف كان يؤثر هذا الحاكى الكلاسيكى باعزار كان فى الماضى البعيد مضرب المثل فى الوفاء بين الانسان واخيه الـ ... الجماد !!

« انا هويت .. وانتهيت » !! .. فجاها ركي افندى عبد الحق نفسه ، صحاة ، لا كما يكون الصباح .. ولكن كأنما اراد ان يطرد هاجسا كئيبا طاف بذهنه .. ولابد من أن الهاجس كان أكثر كآبة مما يحتمل ، فقد انعكس الاحساس به .. على الصوت الصانى الحزين الناشز الذى قذف به من حنجرته .. فان (حمادة) الصغير هتف به فى براءة طفولية لادعة :

— « صوتك فظيع يا جدو » !!

— فظيع ! .. فظيع فعلا يا حمادة ! .. ذلك لأنى .. لأنى (هويت .. وانتهيت) !

ان ركي افندى ، بالرعشة الحائره التى علقت صوته ، لم يقصد بـ « هويت » الهوى الذى عناه المغنى .. وذلك ما وضح له أيضا أخيرا .. عندما اكتشف اختياره — بلا ارادة — ذلك الدور بالذات ! .. أجل .. انه قصد معنى مغايرا للمعنى كله ! .. انه يصارح نفسه الآن بما كان يمور فى اعماقه ! .. « نعم .. انا هويت الى أسفل .. وانتهيت الى الابد » !!

.. ولم يطق مجالدة هذه المشاعر الضبابية التى لم يكن له بها من قبل سابق عهد ، فلم يعتد قبل ذاك لها نزالا ! فتناول عصاه ذات المقبض المعظم والسن النحاسى المذهب ..

.. ومسرق من باب حجرته خارجا بسرعة مباغته .. حتى لقد كاد يسقط لعبة الطفل المتسدوه من بين اصابعه ، واوشك ان يرتطم بزوج ابنه العائدة لتوها لتوها .. ولتسأله هو ، وقد بهتت لهيئته ، ماذا يفضل أن يكون عليه صنف طعام العشاء عند أوبته ! ولكنه اجابها وهو ماض الى الباب بغير أن يلتفت وراءه :

— « لا تعملى حسابى على المائدة ! .. سأتعشى خارج البيت » !

أترى أن الأمر على هذا النحو ؟! ..

انه يذكر الآن ، بوضوح ! .. يذكر انه كان غلاما ، منذ ما اودع ابوه على الفاش فاحضر الاب البائس ذلك الحاكي ليكون سلوى له في وحدته وقلة فراغه ، بعد اذ صار كل وقته .. مراع !

ان التاريخ اذن كما يقال ـ ومن حيث لا يشعر ـ يعيد نفسه .. !

ها هو ذا ايضا يجرب في صحه الجهم الحزين نفس المحنة التي مر فيها اب له من قبل ! . انه اليوم يدرك كيف يكون قتامة اليوم الاول الذي يأتي بلا عمل على الرجل الذي لم يعتد الا العمل والعمل ! .. واي عمل ؟! .. ان ذلك الذي كان يكابده (ركي افندي عبد الحق)

خطب « ادارة شئون الموظفين » بالمصلحة لم يكن عملا مجرد عمل .. وانما كان « حربا » واي حرب ! .. ولكن .. ويا للعجب .. كانت على اية حال ليست ابدا كهذه الحرب الداخلية الصروس التي توجيء بها تبدلع .. ليس خارجا هناك على مسرح « قلم الموظفين » .. ولكن هنا .. في اعماقه وداخل صدره هو ! هيه ! .. لا فائدة من كل شيء ! .. ان اربعا وثلاثين سنة مرت ـ بكرها وقرعاء كحلم ، حتى ، حار .. وها قد حان الوقت ليتجرع مرارة الصحو المرير ، ذي الصقيع .. !

« .. كم كنت غبيا ، والناس اذكياء ، ومع ذلك ـ ويا للسخرية ، فاسمي ، ركي .. افندي » !

وضحك وهو يخرج في شدة أسفلت الشارع بطرف عصاه العدني المذهب ، مهمهما لنفسه ثانية . « .. ولكن هل كنت ـ حقيقة ـ بهذا القدر الذي اظنه من الغباء ؟! .

.. صحيح ان مشواري افندي ذا « تسع السنوات خدمة » لم تهل عليه في المصلحة سنته العاشرة الا وقد فرغ من بناء الدور الأول على قطعة ارض لا بأس بها مساحة وموقعا !

.. لا والا فتوح افندي (الشعاط) !

ذلك الثعلب المرن الذي يعطيك من طرف اللسان نواحا واليما .. بينما قلوسه « تشتغل ! » .. في الحديد الخردة تارة ، وفي « معلق حشب » او في « الكسب والدريس » تارة اخرى ! .. ناس تعرف تعيش ! .. ولكن لا ! .. انهم في نظري لا يعيشون ! .. لطالما كنت أوقفهم امامي جرذانا تهتز وترتعد عندما يجلجل صوتي كهزيم الرعد وانا اعلن تمسكي بمبدئي الخالد (الأصولي .. لآخر رمق ، وحتى النهاية) ! .. فاحطم بذلك جهرا وعلنا ، ما كانوا من وراء ستار يرتبون ويشحون ! ..

لا لا ! .. لن اكون قط كمندراوى افندى .. او فتوح افندى الشقاط ! .. لقد سمى بهذا بلقب (الشقاط) لأنه لا يستحرم من (شقط !) اى شىء .. ولو (شلن) .. ولو سجارة .. لكى « يسهل » .. و .. « يمشى » !!

ها ها !! .. ضعف ! .. حقارة ! .. خلل مما فى تلك النفوس ولا ريب ! .. ومع ذلك ، كان هذا الشقاط الانسان يتعرف بكل الوسائل من سداد حساب (البوعيه) على الكامل ! .. كان يكاد يبكى وهو يستعمل فى العدد أصابع يده كثيفة الشعر مقسما أيمانا عديدة معلظة تعرفع فى الهواء من فمه ، بلا حرارة ، كأنها طلقات مدفع أطفال . وكل ذلك لا لشىء الا لمحالفة فيما عليه من (رمادات) يسيرة لهذا أو ذاك ! . نحمده ! .. حمدا لله على أية حال ! .. حقا لقد خرجنا الى المعاش — دون (حمص !) يذكر — وانما على الحميد المجيد ، وأنعم به وأكرم .. هو سبحانه خير منيب ! .. ولكن .. آه يامندراوى ! . أيها الحرو ! .. انا واثق من انه يكرهنى ! .. وانى — بصراحة — أبادله ذات الشعور ! .. اذ كيف أنسى يوم ان هممت بدخول المكتب فاذا هو — قليل الذمة ! — قد وقف منحنيا الى جوار « شباون » الملفات ، باسطا ذراعيه ، ملتوى الشفتين بصورة كوميدية تهريجية مواجها وملاءه فى رعدة مسرحية سخيفة ، وهو يردد عاليا كالبغاء مقلدا بسخرية « لا ياسيدم ! .. الأصول لازم تمشى ! .. الأصول ! .. لا شىء الا الأصول .. لآخر رمق .. نعم .. لآخر رمق وحتى النهاية » !

« الجبان !! .. لقد حنتم يومها تلك الأمنولة السمجة بكلمة من عنده قالها كتعليق ، مشوحا بذراعه فى ازدراء « آخر رمق ، آخر رمق .. أنا عارف منى ينتهى رمق هذا الرجل » !! .. يقصدنى أنا صغير النفس هزيل الأخلاق ! .. آه ! .. ضاع الحق الآن ! الا فلتمرح الأرانب ! .. انه يوم عيدهم دون شك ! .. أقسم أنهم يريقون الشاى وسجائر البلمونت أنهارا وتلالا ، احتفالا بخروجى من بينهم بلا رجعة الى رفوف المعاش ! .. اوه ! . البرد يكاد يجمد أطرافى .. ومع ذلك — يا رب حكمتك — اكاد اختنق ! . كم الساعة يا ترى الآن !! .. ياه !! .. فقط !! .. الحادية عشرة فقط !! .. ما أطوله من يوم ! .. كان اليوم فى الشغل يمر دون أن يحس به المرء ! .. كنت ما اكاد أحل نصف عقد ومشكلات حتى أشعر من حولى بحركات الأدراج تقفل ، والدوسيهات يعاد رصها ، والمفاتيح تصر من أبواب ودواليب الصاح ، فاصبح باستنكار فى موظفى مكتبى .

— ما الخبر !! .. يذرى جدا على المواعيد يا جماعة .. !

عادا بذلك الذنب فتوح الشقاط بجبينى — وهو الذى كان ، على ما أذكر ، يجيب فى كل مرة ، وفى سكينة مصطنعة وذلة خبيثة ودود :

— الساعة ٢ خلاص يا أستاذ عبد الحق !

فاذا ما سمعته معهما يقول : « ولكنها الثانية الا الربع يا سيد فتوح ! » ، لم يكن يصدم الذلاقة الممجوحة ليرد برقة أكثر حتى (الربع للمواصلات ! .. احتى هذه ايضا فيها (أصول) و (آخر رمق) ، و (حتى النهاية) ؟! . يا استاذ عبد الحق قطعت رمقنا ، ارحمنا يا شيخ الله ما يسيئك » ! .. ويضحك ويقلبها (نكتة) يحالها طريفة ، وهو اثقل المتطرفين ! .. لعنة الله عليه ! و .. عالمرة — وعلى الذين حواليه ! .. ترى من يكون خلفي المسكين رئيس القلم الجديد ؟! .. أيا كان فلا اظنه سيحتمل لواء الرسالة الحازمة القويمة التي كنت انهض بها ! .. كائنا من يكون فاني ادعو له بالتوفيق ! .. اسال مجربا ! .. ما اصعب حرب المبادىء ولكن ما اقل هواجسها ! .. هيه ! .. الله ؟! .. ما هذا » ؟! .

هنا كان ركبي افندي عبد الحق قد فوجىء بقفه يدلف ، موقنا بقوة خفية لم يفهم كيف دفعته هكذا دفعا دون ان يدري ، الى باب المصلحة .. !

اخير كله نصف ! .. ودفع بيديه في الهواء الى الامام باحداهما عصاه ، وقد تصلب جسده وتقلص كقط على سارح فوجىء بفتحة ساح كلب ! .. ومال بجماع قوته الى الوراء .. لكأنه كان يريد ان يتخلص — لا ارادية — من شيء غير منظور يشده ويجذبه الى الامام صوب الباب الحديدي الكبير .. لكي يرتد الى الخلف فسار من ذلك المسكان ! .. ما الذي اتى به الى هنا ؟! .. كيف لم يلحظ ؟! .. نفس الشارع والمحليات التي اعتادها ذهابا واوبة طوال اكثر من ثلاثين عاما ! .. ولكن اليوم ؟! .. كيف لم ينتبه ؟! .. كيف أقبل مسحورا الى هنا ؟! .. ولكن .. ما الفائدة الآن ؟! . حتى اذا كان قد جاء ؟! .. لقد انتهى كل شيء ؟ .. توقفت العقارب وانزاحت بعيدا عن (فلك) الميناء ! .. نعم .. ذلك هو الواقع والحق يا .. يا سيد عبد الحق ! .. « انا هويت ، وانتهت ، على رأي سيد درويش » ؟!

●●●

نعم ! .. هو ذاك ! .. ما عاد له بعد الآن حضور الى رحاب الذين يعملون !

« آه ! .. يعملون ؟! .. هاهاها » ! . وانتسم ركبي افندي لهذا الخاطر الساخر الذي صورت له فيه مخيلة الذكريات رملاء القلم من موظفين ومستخدمين ، وكيف هم في مواقع الامر يعملون ! .. انهم « يعملون كل البدع ! » لكي يتعقد الواحد منهم خلال « خرم ابرة » بلمعه في اللوائح والنظم ، يصل بعده الى ترقية عاجل قبل دوره .. أو نقل مستحدم الى جهة يرغب فيها .. أو ادراج مثل كسول في قائمة المجدين مستحقي مكافآت التشجيع ! .. وذلك كان يمكن ان يتم وفقا لقاعدة « تراعيلي بقيراط .. اراعك بالتين » ! .. لولا ان كانت تثب عليهم في اللحظة المناسبة وبحرة المدا الباتر الحاسم الناسخ (الأصول لآخر رمق .. نعم ، لآخر رمق وحتى النهاية » ! .. فتراجعون مدحورين .. ويلوذون منكمشين وراء البرابرات

وخلف الدواليب ، وكل منهم يعتصم بقفاه ، ملقيا مسئولية التعرض للمسألة أصلا على عاتق الآخر ! .. اخص !.. يا لها كانت ضمائر مينة » !!

كان المارة فى ذلك الوقت يسرعون الخطى فوق أسفلت الشارع الذى تحول بفعل رذاذ المطر والثلج الى مرآة عريضة ، لا نهائية الطول .. كانوا لا يملكون فى اسراعهم داخل المعاطف الثقيلة وتحت الشماسى الا أن يرمقوه بنظرات عجب ودهش ، وهم يرونه فى منتصف الميدان منتصبا وحده ، شاخصا ببصره تجاه مبنى المصلحة ، فى استغراق كلى ذاهل .. كأنه ـ وهكذا كان تماما ـ تمثال حى أقيم أمام الباب الحديدى .. لشخص غير معروف .. يومىء بالعصا التى فى يده الى (شىء) غامض مجهول .. !

والواقع أن ركى أفندى نسى نفسه تماما ـ ولا أحد يدرى كم من الوقت كان يمكن أن يظل على وضعه ذاك المتخشب ، لولا أن ايقظته من ملكوته صيحة الساعى (عبد الجليل) وهو ينادبه مدهوشا ، فى عاطفة بسيطة صادقة :

ـ من ؟! .. عم ركى أفندى ؟!.. أنت هنا ؟! .. حمدا لله على سلامتك ! والله لقد بانت لك وحشة من أول يوم .. ؟!

انتزع هذا الصوت (تمثال الميدان) الشارد ، الذى كاد يتجمد تحت الصقيع دون أن يشعر ، من سرحته الطويلة العميقة .. فحرك عينيه .. ونفض رأسه بقوة كادت تطيح بالطربوش المثل من فوقها .. وراح يحملق بعينيه ويغمضهما مرارا كأنما ليطرد كل أثر باق لـ « تماثيل الصحو ! » الذى كان قد استلب حواسه جميعا .. ثم سلم على ساعى مكتبه الوفى ، بالهشة بمودة .. و .. وسأله الى أين هو خارج .. فأجابه الساعى وعيناه ما تزالان مثبتتين على رئيسه السابق :

ـ خارج اشترى لهم سجائر ، وسندوتشات .. !

ـ مشوار سعيد عليك ، يا عبد الحليل !

ـ لا بأس يا أستاذ عبد الحق .. أما شرفتنا لتسقيك فنجان قهوة ؟!

ـ شكرا .. انا .. انا كنت اعتمدت لك دراجة فى الميزانية الجديدة يا عبد الحليل ، توفر عليك تعب المشوار .. لا تنس تذكرنى بهذا الموضوع .. !

ـ ربنا يخليك يا عم ركى أفندى .. طول عمرك جد .. وتحب الجد .. !

ـ ها ها ! .. وهاك آخر الجد .. !!

ـ مالها آخرته ؟! .. آخرته (قل) ان شاء الله ! .. تصدق بالله ؟ والله .. كل المصلحة تشهد لك .. واليوم فى سيرتك الحلوة .. كلهم .. كل الأقسام فى حرن عليك .. المخازن ، والمشتريات والحسابات ، والدفترخانة ! .. الكل والله !

ـ هه ؟! .. ومدراوى ؟! .. وفتوح ؟! .. وسعد ؟!

ـ هؤلاء وأمثالهم دعك منهم ! .. وعلى العموم .. فتوح افندى الشغ .. آسف ! .. هو غائب اليوم .. اصل واحد بقال رافع عليه قضية .. !

وحتى ركى أفندى أن يسترسل عبد الحليل الساعى فى سرد أشياء من (رميل) له ، فصرفه بالحسنى .. ومضى الساعى الطيب لحال سبيله وهو يتمتم بأدعيات ساذجة .. ولكن ميزتها انها : مخلصة !

ولفته الى انه وقف اكثر مما يجمل فى مكان ما كان له أن يأتى اليه ، وفى يومه ذاك على وجه التخصيص .. فلقد صور له الخيال أنه يتلصص على عالم لغطه ونقص يديه منه ، بعد أن ألقى (بقاياه) خارج نطاقه ! .. ان ذلك يعد تجسسا على شكل ما !! ..

ودفع قدميه بصعوبة لتعاودا المسير .. وان كان قد ترك الصبان للصور المتداعية سريعة التوارد تعيد كرتها جولة فى ذاكرته مرة اخرى ..

« اهنا يا مدراوى ! .. أما نحن فهل سنأخذ رشوة ونرمى عرضا ؟! .. انى الآن أعرف بالضبط ماذا هو حادث الآن فى الداخل ! .. مدراوى افندى رمانه سحر رئيس القلم الجديد بتوليه المعقوت الذى هو ـ لا جدال ـ تقدمه بعد المدة بعدها لحرق تقليد قويم ! .. أما فتوح فما يكاد ينتهى من (كروتة) المقال الذى قاضاه ، يدمغنى على كمية من الأيمان الحانثة .. حتى يعود الى المكتب داخلا فى تأدب وعلى استحياء واقناع حزين .. مؤكدا لرئيسه انه عائد لتوه من لدن الطبيب بعد أن كشف على مرض ابنته واشترى لها الدواء ! . الكذوب !! .. ولا علة ولا عليل أبدا هنالك !! .. لو انى انا لكنت قد شطبت بالأحمر أمام اسمه فى سجل (الحضور والانصراف) ، ولأخرته ، قصبا ، على العودة من حيث جاء .. مرغما اياه على تحرير (اجازة عارضة) ! .. انا أدرى الحلق بالاصبه ! .. ولكنه (يعملها) متكلا فى كل مرة على دلاقة مدراوى أفندى الى حين حضوره ! .. وان تغير الوضع وقتا آخر ، وتأخر المدراوى .. فان فتوح « وفاء للواجب ! » يقوم

عنه بعض المراقبة ! .. يسمونها رسالة ! .. انها هى حكاية (شيلى وأشيلك) ! .. تبا لهم ! .. جميعهم ! .. احرص على ذلك كله ! .. فقد .. ماذا ؟! .. ما هذا ؟! .. من ذا الذى ينادينى » ؟!!!

فعلا .. كانت المعلمة (مفيدة) صاحبة المقهى المستقل الصغير .. هى التى أفلتت مهرولة اليه ، تناديه :

ـ سى ركى احمدى ؟! .. كيف حالك يا رجل ؟! .. سلامة حسنك ؟ .

ـ سلامات يا معلمة ! .. اشتقنا والله الى شايك النقى المضبوط .. !

ـ حلفتك بالنبى .. تعال .. احك لى .. واشرب الشاى !

و .. ولم يكسفها ! .. كانت ـ كما كان يسميها ـ العصامية الطيبة حارتنا ! اى حارة (المسلحة) الوفية ! .. عندما لم يكن يعجبه شاى (الوفيه) كان يستورد براريد الشاى وكيك القهوة منها .. وعرف جودة بضاعتها الآخرون ايضا .. وعلى مر الأيام صار لها عملاء كثيرون لم يسعع (الوفيه) الرسمى اغراءهم من حوزتها ! .. صيارة حقا فعد مثل تلك الحارة المائية ، الوسيمة ، حقيقة الدم كذلك ! .. وتحادثا طويلا . ولكنه لم يدر بعد النحايا ماذا قالت له ، وبم اجابها .. !

كانت قد شعشعت فى مخه فكرة جديدة طرأت لساعتها .. !

كانت الفكرة الطارئة .. بنت اللحظة .. قد شب لهبها اوار داخل فكره الهائم الدوار .. فالهته قوة تفجرها عن المعلمة وشبابها .. ومن كل كلمة بعد ذلك قالتها !

واستأذن منها وانطلق طائرا الى البيت وهو يكاد يثب وثبا .. !

وفى البيت تلقته حارة صامتة .. !

●●●

لقى على السلم حفيده (حمادة) الطفل الذى صاح فور ان رآه :

ـ جدو ! .. جدو ! .. جدو هنا يا ماما ! .. افتكرنا انك تهت يا جدو .!

ولكن « جدو ! » تجاوزه الى الداخل مسرعا ، وهو يكاد يعدو عدوا .. ليجد فى الصالة ولده وزوجته وقد رفعا راسيهما ماخوذين من اطراقة كانت على ما يبدو طويلة حزينة ..

وهب ابنه واقفا يتنهد بارتياح ، ويسأل فى رفق :

ـ بابا .. اين كنت ؟ .

وقالت زوج ابنه قائلة :

ـ عمى .. اهكذا تركنا حتى الآن فى انتظارك من غير غداء ؟! .. من غير ان نعرف اين انت ؟!

لم يتذكر انه كان قد قال لها الا داعى لعمل حساب له على مائدة الغداء ! .. نسى ما كان تماما ! .. بل انه حتى لم يلحظ انهما ربما قد حكت لولده

ـ زوجها ـ كما كانت عليه حاله في الصباح ! .. تلك الحال التي تغيرت كلية وصارت على النقيض مما كان بشكل جد واضح !..

وجلس ركي أفندي عبد الحق بحيوية وحرارة .. وصفق في مرح طالبا الطعام وهو يردد حمادة على ركبته قائلا لابنه بسمسا روحة الاتر ذهبت مسرعة في ارتياح الى المطبخ :

ـ لا تشغل بالك من أجلي .. !

ـ حسنا يا أبي .. فقط أتركني فيما تنوي عمله .. اني ارجوك ان تعتبر زوجتي بمثابة ابنتك .. تخدمك .. أنا أعتقد رأيي أنا .. ان كنت بعض تشعر بنقص لأنك تفتقد المرحومة أمي .. ف ... فانك بتقبل الله لا تزال .. أصغر من ناحية السن ..

غير ان ركي أفندي أطلق ضحكة مدوية طروبا وهو يهدهد كتف ولده الشاب في حنان ثم قاطعه بمرح دافق :

ـ ما هذا الكلام الذي يدور في عقلك يا ولد !! .. لا لا .. ان ما يشغلني الآن ليس هذا .. انني مشغول بمشروع .. مشروع أواصل به اداء رسالتي .. سأستعمل امكانياتي في شيء .. بشرط ان يكون هذا الشيء يدل على شيء !!

ثم اردف فى حرم رهيب :

ـ نعم .. ان رسالتى لن تتوقف .. لن ادعهم يهاون بتصورى كما مهملا ! . سانقض حياة الذين حاربوا مبدئى .. سـاتعب ضمائرهم الهشـة صبح مساء !!

ـ هو هذا يا ابى ! .. ولكنى لم افهم ! على اية حال .. فها هنـاك لديك كل وسائل التسلية .. فونوغرافك .. والراديو .. والمكتبة .. وحديقتنا الصغيرة !

لكن ركى احمدى عبد الحق ، وقد توثب نشاطا حماسيا هائلا ، عاد الى كتف ابنه يربتها من جديد ، ويضحكات اخرى اعلى دويا واكثر تحررا وانطلاقا ، يطلب اليه ان يلزم الصمت .. !

ثم انحدر على حين غفلة ، فى ضحكة جديدة من نوع آخر ، قال بعدها :

ـ فكرتنى بالفونوغراف ! .. دعهم ، لو سمحت ، يعيدوه الى اكفان الجوع التى كان ملفعا فيهـا ! .. انه لا يطلع الا فى قـولة : (انا هـويت ! .. انا انتهيت) !! .. لا لا ! .. انا ان تاقت نفسى للاغنيات .. فساستمع اليها مع (حمادة) من مذياعه الترانزستور الصغير ، هاهاها ... !!

* * *

وخلال الأسابيع القليلة التى تلت ذلك النهار الحافل .. كان (ركى احمدى عبد الحق) يسعى فى الشروق ، ويطلق من البيت فلا يعود اليه الا لينام ! .. كان مشغولا بشىء كبير يلتهم كل وقته .. بيد انه كان فى الدقائق التى يقضيها فى البيت نهارا ..

يملأ الحجرات ضحكا سعيدا طروبا ، وهدرا .. حتى لقد اصبح « حمادة » يفصل ضحكة « جدو ! » على رفقة أبويه كليهما .. !!

* * *

وذات صـباح .. توجه موظفو المصلحة وعمالها وهم يدققون من كل صوب فى مواعيد الحضور .. فوجئوا برؤية (كشك خشبى) اخضر كبير ، فى مواجهـة بابهم الحديدى العريض مباشرة .. ينتصب قبالتهم شامخا عاليا كالهرم .. يطل من أحد شبابيكه الأنيقة بين علب السجائر والمربات .. وجه يعرفونه جيدا .. وقد اسطفت على جوانب قمة الكشك الهرمى لافتة مضاءة ، ضخمة جدا ، مكتوب عليها من كل اتجاه فيها ، بالخط الملون الكبير اللامع :

« بقالة الأصيل لأحر رمق ، لصاحبها ركى عبد الحق » .

ثم .. وبخط اكبر وأشد ضخامة ولمعانا .. كما لو كان يدير تحد هائل ، دائم :

« نعم .. لأحـر رمق ، وحتى النهاية » .. !!!